بيننا خطٌ لا يلتقي

سارة حسن علي درويش

دار أحرفنا المنيرة

اسم الكتاب/ بيننا خطُ لا يلتقي.

العمل وتصنيفة/ رواية.

تأليف/ سارة حسن علي درويش.

تصميم وتنسيق/ محمد مهيوب المصنعي.

دولة وعام التأليف/ مصر /٢٠٢٥ – ٢٠٢٦.

دار النشر / مصر – دار أحرفنا المنيرة.

عدد الصفحات/ ٤٤ صفحة.

تاريخ الإصدار/ ٢٠٢٥/٢/١٢.

تدقيق لغوي: اسراء عيد.

❖ جَميع الحُقوق محفوظة للناشرين
ويمنع إعادة إنتاج هذا الكتاب بأي
شكل الا بكتابة حقوق ناشره.

الأهداء:

إلى ذلك الذي كان حبًا لا أستطيع الاحتفاظ به، وفي ذات الوقت، لا أستطيع نسيانه.

إلى من كان حضوره يشبه الأمل، لكنه تحول إلى حزنٍ لا ينتهي.

وإليّ أنا فأنا أيضاً أستحق.

الفصل الأول:
" همسات القلب الصامت"

في ليلة كانت الحزن يثقل كاهلي، وصلني رسالته. كانت تلك البداية، بداية تعارفنا، بداية لا أدري كيف تصادف فيها الألم مع الأمل، وكيف تلاقى الظلام مع الضوء في لحظة عابرة. كان الحزن يثقلني في تلك الليلة، والفراغ من حولي يصرخ في أذني، وكنتُ أبحث عن مخرج، أي مخرج، من هذا السكون الذي يغلف حياتي. وعندما رن هاتفي، لم أكن أتوقع أن تأتي الإجابة على تساؤلاتي في تلك اللحظة.

عرفتُ في تلك اللحظة أنني لست له، وأننا لسنا لبعض. ولكن لشدة اليأس الذي كنت أعيشه، ولشدة الحزن الذي كان يملأ أركان قلبي، جعلني أريد منه أن يكون إبرة تخدير، هروبًا مؤقتًا من كل شيء. كان كأنني أبحث عن أي شيء، أي أحد، يعطيني شعورًا بالراحة، ولو لحظة، حتى لو كانت تلك اللحظة مضللة، مليئة بالوهم.

كانت رسالته بسيطة، لكنها كانت تحمل بين كلماتها لمسة غريبة، شيء لم أستطع تحديده حينها، ولكنه جذبني. وفي تلك اللحظة، كنت أعرف في أعماقي أنه لن يكون لي، وأنه لا يمكن أن يكون لي، لكن الحزن في قلبي كان يدفعني للتمسك بأي شيء يشبه الأمل. كنت أخشى أن أكون وحدي في هذا العالم المظلم، وأردت أن أعيش لحظة من السعادة المفقودة في حياة مليئة بالأسئلة بلا إجابات.

أردتُ أن يكون ملاذًا، لا أكثر. أردتُ أن أهرب إليه، لأغلق عينيّ عن كل شيء آخر، لأرتاح ولو قليلاً من الألم الذي عشته. ولكنني كنت أخشى أن أفتح الباب لشيء أكبر، شيء قد يجعلني أسيرًا

في عالمه، في عالم لا أريد أن أكون فيه. ومع ذلك، كانت تلك اللحظة التي تجمعنا، التي تبدأ فيها الحكاية التي لم أكن أعرف أنها ستغيّر كل شيء في حياتي.

وبدأت الأيام تمضي، شيئًا فشيئًا، دون أن أدرك أنني بدأت أعلق في هذا العالم، عالمه، عالمه الذي أخذني من دون أن أشعر. لم أكن أريد أن أضع نفسي في ذلك الموقف، أن أكون في علاقة مبنية على الخوف، على الصمت، على الهروب. لكنني، وبالرغم من كل شيء، كنت أعيش في حالة من التشتت الداخلي، بين ما أريد وما أخشى أن يحدث. كنت أعيش في عالم من التناقضات، عالم يحاول فيه القلب إخفاء ما يخشاه، لكنه لا يستطيع، لأن الحقيقة تبقى دائمًا حاضرة، حتى عندما نغلق أعيننا عنها.

وفي تلك اللحظة، كنت أخشى أن أخسره، اكتشفتُ في لحظة مفاجئة أنني قد وقعت في حبه دون أن أدري، وأنه أصبح جزءًا من حياتي لا يمكنني أن أتصور يومًا من دونه. لم يكن مجرد شخصٍ أراه بين الحين والآخر، بل أصبح هو نبض قلبي، وأصبح كل شيء في حياتي يدور حوله، وكأنني لا أستطيع العيش بدونه.

لكن كان هناك شيء يعيقني. حاولتُ عدة مرات أن أكون صادقة معه، أن أُخرج تلك الكلمات التي كنت أخفيها في صدري، تلك الحقيقة التي لم أستطع قولها. وكلما كنتُ على وشك الاعتراف، كان صوته، حضوره، يجعلني أتراجع. كانت نفسي تعترض، وكانت الألفاظ تتعثر على لسانِي. كنت أخشى أن يبتعد، أخشى أن تتغير نظرته لي، أخشى أن أفقده.

في تلك اللحظات، كنت أعلم أنه لا يعرف عني شيئًا حقيقيًا سوى اسمي. لم يعرف عني خبايا روحي، لم يعرف عني تلك الجروح التي كنت أخفيها. كنت أخشى أن يعلم الحقيقة، أن يعرف عني أكثر مما أريد أن يظهر، فكانت المسافة بيننا تزداد، مسافة صنعتها أنا بيدي.

كان هو يعرفني فقط من خلال ما أظهرته له، من خلال الكلمات التي اخترتها بعناية، الكلمات التي كانت تظل محاطة بالحذر. كنت أخشى أن أقول له الحقيقة كاملة، أن أخبره بما كان يجول في خاطري، بما كنت أخشى أن يكون له تأثير على ما بيننا.

ورغم ذلك، كان قلبي لا يهدأ. كنت أعود إلى نفس النقطة التي بدأت منها، كلما حاولت أن أضع المسافة، كان هو يعود لي، هذا التناقض الذي عشناه جعلني أعيش في دوامة لا أستطيع الخروج منها، بين رغبة في الهروب وحاجة للبقاء.

كنت أخشى أن أخسره، ولكنني كنت أخشى أيضًا أن أكون صادقة معه. كنت أخشى أن تلتقي عيوننا ويكتشف أنه لا يوجد بيننا شيء حقيقي، شيء يمكن أن يصمد أمام اختبار الوقت.

ولكن، ومع كل لحظة قضيناها معًا، كنت أشعر بأن صمتي ليس حماية لي فقط، بل خيانة له أيضًا. كنت أحتفظ بمشاعري بداخلي، لا أستطيع أن أشاركها، ولا أستطيع أن أتحمل أن أخسر ما كان بيننا.

في تلك الليلة، جلستُ عند نافذتي، والمدينة نائمة من حولي. هو بعيد عني، لكنه كان أقرب من أي وقت مضى. كنت أستعيد كلماته وضحكاته وأصواته التي كانت تملأ المكان، وكأنها جزء مني. ومع ذلك، كان هناك سؤال يطاردني بلا إجابة، سؤال عن الحقيقة التي أخفيها، عن ذلك الجزء الذي يخيفني في داخلي، عن الذي قد يحدث إذا اكتشف.

كنت أخشى أن يأتي اليوم الذي سأضطر فيه للكشف عن تلك الحقيقة، عن ما أخفيه بقلبي، وكنت أخشى أن تبتعد عينيه عني إذا عرف. ولكن لم أكن أدري أن الأيام القادمة ستكشف لي إجابات، وإجابات لم أكن مستعدة لسماعها.

الفصل الثاني:
"حين يعبر القدر دون استئذان"

خمس سنوات من الصراع بيني وبين قلبي. خمس سنوات من محاولات الإقناع، من الهروب، من الادّعاء بأنني لم أقع في الحب، بأنني أستطيع تجاوزه كما نتجاوز الحلم عند الاستيقاظ.

كنت أعيش بين يقينين متناقضين؛ الأول أنني أحبه أكثر مما ينبغي، والثاني أنني لا أستطيع أن أكون له. كأن قلبي كان معلقًا بينهما، لا يستطيع أن يميل لأيٍّ منهما دون أن يخسر شيئًا. كنتُ أُقنع نفسي أن الحب وحده لا يكفي، وأن بعض المشاعر، مهما كانت صادقة، يجب أن تبقى حبيسة القلب.

لكني كنت أعرف في أعماقي أن الحب لا يُنسى، وأنه لا يمكننا خداع قلوبنا للأبد.

وفي لحظة ما، بعد سنوات من المراوغة، وجدتُ نفسي أمام الحقيقة التي كنت أهرب منها. الحقيقة التي لم تمنحني خيارًا سوى المواجهة.

أدركتُ ذلك عندما سمعتُ والدتي تنطق اسمي بصوت هادئ لكنه محمّل بشيء يشبه القدر. كنتُ أقلب صفحات كتابي بلا تركيز، بينما تسللت كلماتها كخيط دافئ يلتف حول روحي، يشدّها إلى واقع لم أكن مستعدة له.

هناك من يريد التقدم لخطبتك. –

جملة واحدة، لكنها كانت كفيلة بجعل أنفاسي تتباطأ، وكأن الهواء من حولي صار أكثر كثافة. نظرتُ إليها، أحاول أن أبحث في عينيها عن أي مجال للرفض، لكنها كانت تبتسم، تنتظر مني ردًا لم أكن أملكه.

".أردتُ أن أقول: "لكني أحب شخصًا آخر
لكنني لم أفعل.

لم أفعل، لأنني أعلم أن الحب وحده لا يكفي.

كيف سأخبره؟ وكيف سأواجه احتمالية أن تتغير ملامحه، أن يتبدل صوته، أن أرى في عينيه دهشة لا تشبه الدهشة التي حلمتُ بها؟ ماذا لو نظَر إليّ وكأنني شخص غريب، وكأن مشاعري ليست سوى عبء لم يكن ينتظره؟

كنت أخاف أن أكون خيبته، أن أضعه أمام شيء لم يكن مستعدًا له، أن أُلقي عليه ما لا يريد حمله. الحب لا يعني أن نأخذ من نحب كرهًا أو أن نربطه بنا رغمًا عنه. كنت أريده أن يكون سعيدًا، أن يجد شخصًا لا يخفي عنه شيئًا، لا يحمل في داخله سرًا قد يهدم كل شيء.

لهذا، حين أخبرتني أمي عن الخاطب، شعرتُ بشيء يشبه الراحة وسط دوّامة الخوف. ربما هذه هي الفرصة التي كنت أبحث عنها، الفرصة التي أهرب بها منه لأحرّره مني.

في تلك الليلة، جلستُ أمام مرآتي، أحدّق في وجهي كمن يودّع نفسه. كنتُ أعلم أنني لن أكون كما كنت بعد هذه الليلة. إذا مضيتُ في هذا الطريق، فلن يكون هناك عودة. كنتُ سأُغلق الباب

خلفي، وأتركه ليجد طريقه دوني، ليجد من هي مناسبة له، من تستطيع أن تحبه دون خوف، دون تردد، دون سرّ يكبر في قلبها كل يوم.

وفي الصباح، حين نظرتُ في عيون والديّ وهما ينتظران جوابي، وجدتُ نفسي أقول الكلمة التي كنت أهرب منها طوال حياتي:

– موافقة.

خرجت الكلمة من فمي وكأنها لم تكن لي، كأنها كانت تخصّ شخصًا آخر، شخصًا لا يعرف أن قلبه ينبض باسم مختلف. شعرتُ بالهواء من حولي يثقل أكثر، وكأنني أُغلِق بابًا لن أستطيع فتحه مرة أخرى.

لكنني لم أكن أعلم أن الأبواب المغلقة لا تعني النهاية، وأن الحب، حتى عندما نحاول دفنه، يجد دائمًا طريقًا للعودة.

الفصل الثالث:
"اعتراف مؤلم"

الليلة كانت صامتة حد الاختناق، والسماء مرصعة بنجوم لم تكن تشبهني في شيء، كانت بعيدة، ثابتة، بينما كنتُ أنا في عين العاصفة، أنجرف نحو قرار لم أختره، نحو مصير لم يكن يومًا لي.

كنتُ أعرف أنه سيكون هناك، في الحديقة الصغيرة حيث اعتدنا أن نلتقي، حيث كان العالم كله يختفي حين نتحدث. لكن الليلة، لم أكن أملك حديثًا، بل اعترافًا قاتلًا.

وقفتُ أمامه، وأحسستُ بالدم يتجمد في عروقي حين التفت إليّ. نظراته، طريقته في التحديق في وجهي، وكأنه كان يحاول أن يفهم لماذا كنتُ أرتجف رغم أن الليل لم يكن باردًا.

ابتلعتُ ريقي، حاولتُ أن أبحث عن كلمات لا تزيد الأمر سوءًا، لكن لم يكن هناك كلمات لطيفة لخيانة كهذه.

"سوف أتزوج."

قلتُها أخيرًا، وأحسستُ أنني لفظتُ روحي معها.

تغيرت ملامحه في لحظة، وكأنني سحبت الأرض من تحت قدميه. لم يتكلم فورًا، فقط ظل يحدّق بي، كأنه لا يصدق ما سمعه. ثم، وبصوت منخفض، لكنه حاد كالسيف، قال:

"؟ماذا"

شعرتُ أن قلبي يتخبط في صدري كطائر محبوس، لكنني كنتُ أعرف أن لا مجال للتراجع.

".أمي وأبي قرروا ذلك... لم يكن لديّ خيار"

كانت هذه كذبة ناقصة، أو ربما حقيقة غير مكتملة. لأنني كنت أملك خيارًا... لكنني لم أكن أملك الجرأة لأختاره.

اقترب مني خطوة، عيناه متسعتان بدهشة غاضبة، وكأنه يبحث عن شيء في وجهي يكذّب ما قلته.

"؟ِلم يكن لديكِ خيار؟ هل هذا كل ما ستقولينه لي؟ هل هذا كل ما يعنيه الأمر بالنسبة لك"

كان الغضب في صوته مؤلمًا أكثر مما تخيلت. كنتُ مستعدة لدموعه، لصدمته، لكن ليس لهذا الغضب الذي يشعرني وكأنني خنته بطريقة لم يدركها بعد.

خفضتُ نظري، لم أستطع مواجهته أكثر.

"...أنا آسفة"

كان صوتي بالكاد يُسمع، لكنني أعلم أنه سمعه. لأن الصمت الذي تبع ذلك كان ثقيلًا، كأن العالم توقف للحظة.

"؟ِهذا كل شيء إذًا؟ بعد كل هذه السنوات، هذا كل ما لديك"

كنتُ أعرف أنني لو بقيتُ أكثر، فسوف أضعف، سوف أبوح بالحقيقة التي لن تغيّر شيئًا سوى أنها ستزيد من ألمه. لذلك، استدرتُ بسرعة، وبدأتُ بالمغادرة قبل أن تنهار دموعي أمامه.

لا تهربي،" قالها بصوت منخفض لكنه قوي."

لكنني لم أستطع التوقف. كنتُ أهرب ليس منه، بل من نفسي، من قلبي، من كل شيء كنتُ أعرفه وأحبه.

وحين تجاوزتُ بوابة الحديقة، سمحتُ لدموعي أخيرًا أن تنهار. كنتُ أعرف أنني تركتُ خلفي جزءًا مني لن يعود أبدًا، وأنني، رغم كل شيء، سأظل أتساءل ما الذي كان سيحدث لو كنتُ فقط امتلكتُ الشجاعة؟

الفصل الرابع:
"حين تنكسر الروح أمام الحب"

.كان الجميع هنا... إلا أنا

امتلأ المنزل بالزينة، بضوءٍ خافت ينساب على الجدران، بأصوات التهاني التي تتردد في أذني كأصداء بعيدة، لا تصل إلى قلبي. أمي كانت تبتسم بسعادة، تتحرك بين الضيوف وهي تردد أنها ليلة جميلة، وأن كل شيء يسير كما يجب. كنتُ أراها، وأشعر بوخز في صدري، فأخفض رأسي، وأحاول أن أقنع نفسي أن هذه فرحتي كما هي فرحة الجميع.

لكن الحقيقة؟
لم أشعر أنني كنتُ حاضرة حقًا.

جلستُ في زاوية بعيدة، أتأمل المكان الذي بدا لي غريبًا رغم أنه لم يتغير. الزهور البيضاء، الطاولة التي تكدست عليها أطباق الحلويات، الفساتين التي تألقت بها النساء من حولي... كل شيء كان مثاليًا. مثاليًا لدرجة أنني شعرتُ أنني دخيلة في هذا المشهد، وكأنني مجرد متفرجة على حياة لم تكن لي.

كان يفترض أن يكون هذا يومًا سعيدًا، لحظة فاصلة بين ماضٍ ومستقبل، بين حياةٍ كنت أعرفها وأخرى عليّ أن أبدأها. لكن داخلي، كنت أشعر بشيء يشبه الفراغ، كأنني أقف على حافة مجهولة، وكأنني أرتدي قناعًا لا أستطيع خلعه.

لم يكن هو هنا.

لم يكن ليشهد اللحظة التي كنتُ أنتظر منه أن يمنعها.

تساؤل مجنون راودني: ماذا لو كان قد ظهر الآن؟ ماذا لو أتى وأوقف كل شيء؟ ماذا لو مدّ يده وقال لي: "لا تفعلي"؟

لكنني كنت أعلم أنه لن يفعل.

كنت أعلم أنني، منذ تلك الليلة التي أخبرته فيها، قد فقدته إلى الأبد.

حاولتُ أن أبدو بخير، أن أتماسك، لكن شيئًا في داخلي كان ينهار بصمت. كأن روحي كانت ترفض أن تتصالح مع هذا القرار، مع هذا المستقبل الذي لم أختره بقناعة، بل استسلمتُ له خوفًا من مواجهة حبّي، خوفًا من أن أخسره أكثر مما فقدته بالفعل.

وحين اقتربت أمي وأمسكت بيدي برفق، ابتسمتُ لها بصعوبة. كنتُ أعلم أنها تنتظر مني أن أبدو سعيدة، أن أكون ممتنة، أن أظهر على الأقل بعض الرضا.

لكنني لم أستطع سوى أن أبتسم ابتسامة باهتة، وهمستُ في داخلي:

"هذا ليس لي... هذا ليس لي أبدًا."

الفصل الخامس:
"الليل الذي ابتلعني وحدي"

لم يكن الليل مجرد وقتٍ يمضي، بل كان حفرة مظلمة تبتلعني وحدي، تبتلعني بلا رحمة.

في ليلة خطوبتي، حين كان الجميع يغطّ في نوم هادئ بعد ليلةٍ بدت لهم سعيدة، كنتُ وحدي أعيش العكس تمامًا. جلستُ في زاوية غرفتي، يداي تعانقان ركبتيّ، وعيناي معلقتان بالسقف، لا تبحثان عن شيء، فقط تهربان من كل شيء.

؟كيف وصلتُ إلى هنا؟ كيف تحولتُ من شخص يحلم إلى شخص يخشى حتى التفكي؟

كنتُ أعلم أن هذه الليلة ستكون مؤلمة، لكنني لم أتوقع أن يكون الألم بهذا العمق، بهذا الثقل الذي جعل حتى الهواء صعبًا على صدري.

كان يفترض أن يكون هنا.
كان يفترض أن يسمعني، أن يلتقطني قبل أن أسقط، أن يمدّ يده ويمسك بي، لكنه لم يفعل. لم يكن هنا، ولم يكن يعرف أنني لم أعد قادرة على النوم منذ أن أخبرته بالحقيقة.

حاولتُ أن أغلق عينيّ، أن أهرب إلى عالم لا يوجد فيه هذا الوجع، لكن النوم لم يكن رحيمًا بي. كلما اقتربتُ منه، جرّني الحنين إلى الخلف، جرّني صوته، نظرته، وقوفه أمامي تلك الليلة وهو يحمل في عينيه شيئًا لم أستطع احتماله.

كيف يمضي الجميع بسهولة؟ كيف يفرحون بشيء يشبه جنازتي؟

مرّت الأيام بطيئة، وأنا أحاول أن أكون شخصًا آخر.
أبتسم حين يجب أن أبتسم. أتحدث حين يجب أن أتحدث. أخبر نفسي أن الحياة تمضي، وأن عليّ أن أمضي معها.

لكن شيئًا ما كان يرفض التصالح مع هذه الفكرة.

"كنتُ أقول لنفسي كل يوم: "سأنسى.
وسقطتُ في كذبةٍ جديدة.

كلما حاولتُ التأقلم، كان اسمه يتردد في رأسي بلا إذن. كنتُ أتظاهر أنني لا أفكر فيه، لكنني كنتُ أراه في كل شيء. في الأماكن التي مررنا بها، في الأحاديث التي كنا نتشاركها، في الأوقات التي كان فيها جزءًا من يومي، حتى ولو لم يكن يعلم.

لكنني كنتُ صلبة.
أو هكذا اعتقدت.

حتى تلك الليلة.

بعد مرور أربعة أيام على آخر مرة رأيته فيها، كنتُ أعتقد أنني بدأتُ أعتاد الغياب. لكن شيئًا داخلي انهار فجأة، وكأن جدراني الهشة لم تعد قادرة على حمل كل هذا الصمت.

تذكرتُ كيف كان ينظر إليّ تلك الليلة، كيف كان صوته يرتجف بين الغضب والخذلان، كيف كان يمكن لكل شيء أن يكون مختلفًا لو أنني فقط كنتُ شجاعة قبل ذلك.

أمسكتُ هاتفي.

لم يكن عليّ أن أفعل.

لكنني فعلت.

ترددتُ طويلًا قبل أن أكتب له رسالة قصيرة:

"أعلم أنك غاضب. لكنني فقط... أحتاج أن أعرف إن كنتَ بخير."

ضغطتُ على الإرسال، ثم انتظرت.

انتظرتُ وكأنني أراهن على آخر شيء تبقى لي.

مرّت دقيقة.

عشر دقائق.

نصف ساعة.

الهاتف لم يتحرك، لم ينبض بأي رد:ّ

كنتُ أحدق في الشاشة كأنني أطلب منها معجزة، كأنني أريد من الزمن أن يعيدني إلى اللحظة التي لم أرسل فيها شيئًا.

لكن فجأة، اهتز الهاتف بين يدي.ّ

ظهر الإشعار.

تسارعت أنفاسي، شعرتُ بقلبي يركض كأنه على وشك أن يسقط مني. فتحتُ الرسالة بسرعة، وكأنني كنتُ أفتح بابًا يقودني إلى المجهول.

كانت قصيرة جدًا.

كانت باردة حدّ القسوة.

"أنا بخير. لا تراسليني مجددًا."

.تُجمدت

قرأتُ الرسالة مرة، ثم مرة أخرى، كأنني أبحث في كلماتها عن شيء لم يكن موجودًا.

ثم، بلا وعي، ابتسمتُ بسخرية.

حسنًا.

الآن... عرفتُ الحقيقة.

الفصل السادس:
"باب مغلق في وجهي"

حدّقتُ في كلماته، وكأنني لا أستوعبها. كأنني أحتاج إلى قراءتها مرة أخرى، وربما ألف مرة، لعلّ المعنى يتغير، لعلّ عيني تخدعني.

".أنا بخير. لا تراسليني مجددًا"

هل كانت هذه نهاية كل شيء؟ بهذه البساطة؟ بهذه القسوة؟

أغمضتُ عينيّ، وشعرتُ أنني أختنق. لم يكن الأمر مجرد كلمات على شاشة، بل كان جدارًا يُبنى بيني وبينه، حاجزًا من الصمت والرفض، كأن كل السنوات التي جمعتنا لم تكن شيئًا يذكر، كأنها لم تعنِ له كما عنت لي.

لم أبكِ على الفور. كنتُ أشعر أن هناك ثقلًا يجثم على صدري، أن هناك شيئًا داخلي ينهار ببطء. لم يكن الأمر صدمة فقط، بل كان خيبةً تجذّرت في روحي، جعلتني أتساءل: هل كنتُ بهذا الغباء؟ ؟هل كنتُ أتوهم أنني كنتُ جزءًا من عالم؟

ضغطتُ على هاتفي، وأغلقتُ المحادثة، وكأنني بذلك أُغلق بابًا لم يعد يُفتح لي مجددًا.

في اليوم التالي، كان الشعور بالفراغ يلاحقني في كل لحظة. لم أستطع التوقف عن التفكير فيما حدث، عن تلك اللحظة التي كانت آخر تواصل بيننا. كانت قلبي يخفق بشدة، لكنه لا يحمل الأمل، بل كان يضيق بألمٍ مستمر.

كنتُ أفكر في قرار الزواج، في الخطوبة التي فرضها عليّ الجميع، لكنني في أعماقي كنت أعلم أنها لم تكن خياري. لم يكن هذا ما أريد، ولم يكن الشخص الذي كنت أتمنى أن أكون معه.

وفي تلك اللحظة، شعرتُ بشيء يدفعني إلى القيام بالخطوة التي كنت أخاف منها. أمسكتُ بهاتفي مجددًا، وقلبي ينبض بسرعة أكبر من ذي قبل.

اتصلتُ به.

مرّت لحظات قبل أن يجيب، وكأن الهاتف كان يحاول إخبارنا بأن هذا الاتصال ليس كما كان من قبل.

أهلاً." كانت نبرته باردة، خالية من أي علامة على التفهم."

أريد أن أخبرك بشيء مهم." قلتُ وأنا أحاول أن أبدو متماسكة، لكنني كنتُ أشعر أن كلماتي " ستنزلق من بين أصابعي.

ماذا هناك؟" سمعته يسأل، وكأنه يدرك أن شيئًا سيئًا سيحدث."

أنا... سأفسخ خطوبتي." نطقتها أخيرًا، وكنتُ أعرف أنني أُطلق كلمة كانت ستؤدي إلى " تحطيم الكثير من الأشياء بيننا، ولكنني لم أعد أستطيع تحمل هذا الصمت، هذا الجرح الذي لم يندمل.

لم ينبس بكلمة، فقط ظلّ صامتًا للحظة. سمعته يتنفس بعمق كما لو أنه يحاول فهم ما قلته. ثم، "؟قال ببرود: "لماذا

كنتُ أعرف أنه سيسأل، وأنه سيتساءل عن السبب الذي دفعني لذلك، لكنني كنتُ عاجزة عن تقديم الحقيقة. الحقيقة التي كانت أقسى من أي كلمات يمكن أن أنطق بها.

لا أستطيع أن أخبرك الآن." قلتُ أخيرًا، وأحسستُ أن الحقيقة كانت ثقيلة على لسانها."

لحظات طويلة مرّت، ثم قال بصوت منخفض: "إذا كان هذا ما تريدين، فافسخي. وبعدها لكل حادث حديث." كانت كلماته هادئة، ولكنها كانت تحمل في طياتها ما يشبه القبول الصامت.

أغلقتُ الهاتف بعد أن قلت له وداعًا بكلمات شبه خالية من أي إحساس. كنتُ أشعر وكأنني أطوي صفحة من حياتي، صفحةً قد لا أعود لقراءتها مرة أخرى.

لم يكن الأمر سهلاً، لكنني لم أعد أستطيع العيش بين عالمين. فكان عليّ أن أختار، حتى وإن كانت الخيارات مؤلمة.

الفصل السابع:
"انتظار على حافة الغياب"

مرّت الأيام بطيئة، مثقلة بالحيرة، بالندم، وبالأسئلة التي لم أجد لها إجابة. كنتُ أحاول أن أعيش، أن أبتسم في وجه أهلي، أن أبدو كما يريدون، فتاة تستعد لزواجها، فتاة اختارت طريقها وستمضي فيه، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك تمامًا.

في كل ليلة، كنتُ أضع رأسي على الوسادة وأتساءل: هل يمكنني حقًا أن أخطو هذه الخطوة؟ هل يمكنني أن أبدأ حياة جديدة وأنا ما زلتُ عالقة في حبه؟

كنتُ أعرف الجواب. كنتُ أعرف أنني لا أستطيع.

وبعد أن أخبرتُه قراري، كان قلبي يثقلني أكثر. تحدثنا، كانت كلماتنا قليلة، لكنه فهم، وكأن قلبه أيضًا قد قرر ذلك. كانت الرسالة التي تلقيتها منه بعد ذلك قليلة كالألم الذي أعيشه. لكن القرار لم يكن سهلًا، كان أثقل من أن يُحمل.

أمضيتُ اليوم التالي في تفكير عميق، أراجع كل شيء، أعيد حساباتي، أسمع صدى الكلمات في رأسي: "أفعلي ذلك وبعدها لكل حادث حديث"

هل كنتُ أستطيع أن أتراجع؟ هل كان هذا القرار صحيحًا؟ كنتُ أفكر فيه أكثر من أنني كنت أعيشه. لكن في النهاية، ما عشته كان أكبر من أن أستمر في إخفائه.

في تلك اللحظة، قررت أن أخبر أمي. كان قلبي ينفطر وأنا أراها تقترب مني، أحاول أن أظهر القوة، ولكن الحقيقة كانت أنني كنت على وشك الانهيار.

".جلستُ أمامها، ثم قلت بصوت متردد: "أماه... أنا لا أستطيع الزواج

لم تتحرك، فقط نظرت إليّ، كأنها كانت تنتظر مني مزيدًا من التوضيح. لكن كلماتها التي خرجت من بين شفتيها كانت تحمل أضعاف ما شعرت به.

لماذا؟" قالت بصوت مشبع بالصدمة، وكأن العالم قد توقّف عن الدوران للحظة. "لماذا، يا " "؟ابنتي؟ ما الذي حدث؟

أشحت بوجهي عنها، وحاولت أن أخفي دموعي التي كانت تهدد بالخروج. "أريد أن أفسخ ".الخطوبة، أماه. أنا لا أستطيع أن أكمل

كانت الصدمة واضحة في عينيها، وكأنني سحبْتُ الأرض من تحت قدميها. "لكن كيف؟ كيف؟" كان صوتها متقطعًا، مزيجًا من الحيرة والخوف.

بكت أمي، فكانت دموعها أصعب من دموعي. "لكن الجميع يعرف، ماذا سيقولون؟ كيف سنشرح "؟هذا

كانت كلماتها تشعرني بثقل لم أستطع تحمله. كنت أرى في عينيها خوفًا على سمعتنا، على مظهرنا أمام الناس. لكنني كنتُ أعلم أنني لا أستطيع إخفاء مشاعري أكثر.

" أنا آسفة، أماه. لا أستطيع أن أتزوج. لا أستطيع أن أعيش حياة ليست لي"
صمتت، ثم قالت، بصوت هادئ مليء بالحزن: "إذا كان هذا ما قررتِه، فسأقبل به. لكن تأكدي ".أنكِ ستتحملين كل شيء بعدها.

أومأت برأسي، وقلبي كان ينفطر أكثر، لكنني كنت أعلم أنني اتخذت القرار الصحيح، حتى لو كانت العواقب ثقيلة.

وفي المساء، بعد أن تحدثنا مع العائلة، كانت الصدمة واضحة على وجوههم، وكانت الأسئلة تتوالى. لكنني كنتُ صامتة، لا أملك الإجابة الكافية. فقط كنت أعرف أنني فعلت ما كان يجب عليّ فعله منذ البداية: أن أكون صادقة مع نفسي.

—

في تلك الليلة، جلستُ أمام نافذتي، أنظر إلى الشارع الصامت. شعرتُ وكأنني للمرة الأولى منذ فترة طويلة، أتنفس بسلام.

لم أكن أعلم إن كان سيعود، إن كان سيعود إليّ يومًا، لكنني كنتُ على استعداد لأن أنتظره.

كنتُ على استعداد لأن أراهن على هذا الحب، حتى لو كانت النتيجة مجرد صمت طويل آخر.

لأن بعض المشاعر لا يمكن دفنها، حتى لو حاولنا.

الفصل الثامن:
"لحظة الحقيقة"

مرّ أسبوع واحد فقط منذ فسخ خطوبتي، وكل يوم كان يشبه الآخر، ولكن بتفاصيل مختلفة. كان الوقت يسحبني إلى مكان مظلم، حيث أفكاري تتلاطم دون هوادة. لم أكن أستطيع الهروب من السؤال الذي يطاردني: هل كنتُ على صواب أم أنني ارتكبتُ خطأ لا يُغتفر؟

ثم جاء اليوم الذي قررت فيه أنني لا أستطيع التراجع بعد الآن. لقد مرّت خمس سنوات وأنا أحتفظ بسرٍّ عنك، وعرفت أن الوقت قد حان لأن أخبرك. كان عليَّ أن أخبرك بكل شيء. أخذتُ نفسًا عميقًا، ثم ضغطت على رقم هاتفه.

"مرحبًا... هل يمكننا أن نتحدث؟" قلت، وأنا أشعر بقلبي ينبض بشدة.

في الجهة الأخرى من الهاتف كان صوته خافتًا، هادئًا، ولكنه يحمل في طياته قلقًا. "هل هناك شيء؟"

"أريد أن أخبرك بشيء... شيء أخفيته عنك لسنوات." كانت كلماتي ثقيلة، وكنت أعرف أنني على وشك أن أغير كل شيء.

لم أستطع أن أضيف شيئًا أكثر، كانت مشاعري متشابكة، وكل كلمة تحتاج إلى قرار شجاع. ثم بعد لحظة من التردد، قال بصوت جاد: "حسنًا، أراك في المساء."

اللقاء كان في نفس المكان الذي اعتدنا أن نلتقي فيه، ولكن هذا المساء كان مختلفًا. كان الظلام أكثر كثافة، والهواء أبرد من أي وقت مضى.

لم يكن بيننا الحديث المعتاد. كان الصمت بيننا ثقيلًا، وكانت العيون تتلاقى ولكنها مليئة بالألم والخوف. وكأن كل لحظة مضت بيننا أصبحت الآن عائقًا لا يمكن تجاوزه.

أريد أن أخبرك بشيء... شيء أخفيته عنك طوال هذه السنوات." بدأتُ بالكلام بصوت " منخفض، قلبي يضج بمشاعر متناقضة.

"وقفتُ هناك، قلبي يخفق بعنف، وأنا أقول: "أنا أكبر منك بخمس سنوات.

كان وجهه يتغير تدريجيًا، وكان الصمت يزداد ثقلاً بيننا. كان الأمر وكأنني ألقيت قنبلة في وجهه، فعيونه أصبحت متسعة، وكأن الكلمات التي خرجت مني كانت تضربه في صميمه.

ماذا؟!" قالها بنبرة عالية، وهو يحاول أن يستوعب ما سمعه. "لماذا لم تخبريني بهذا من " "؟البداية

كانت عيناه مليئة بالدهشة والغضب في آن واحد. لم يكن قادرًا على فهم الأمر، وكان من الواضح أنه يشعر بالخيانة.

كنت أخشى أن أفقدك، كنت أخشى أن تفكر أنني لا أستحقك... كنت أخشى أن يغير هذا كل " شيء بيننا." قلت وأنا أحاول أن أشرح له، لكن الكلمات كانت تخرج بصعوبة.

ثم، وبصوت يملؤه الألم، سألني: "لماذا أخفيتِ عني هذا طوال هذه السنوات؟ لماذا انتظرتِ كل هذا الوقت؟"

كان سؤاله يشبه طعنة، ليس لأنه كان قاسيًا، ولكن لأنه كان محقًا. كان يطلب مني الإجابة على شيء لا أستطيع تبريره.

لم أستطع أن أجيب فورًا، وكأن كلماتي تاهت في الهواء. كان هناك نوع من الهروب داخل قلبي، شيء كان يخنقني ويجعلني أرتجف. ولكن لم يكن لديّ خيار سوى أن أواجهه.

كنت أخشى أن تفكر أنني أقل منك، أو أنني غير قادرة على أن أكون معك." قلت ذلك أخيرًا " بصوت ضعيف، عينيّ تغرقان في دموع لم أكن أستطيع حبسها أكثر.

لكن بدلًا من أن يقترب مني، كما كنت أتمنى، نظر إليّ بنظرة قاسية، وعيناه ملئتا بالغضب. كانت لحظة ثقيلة، وكأنها خالية من أي عودة.

أنتِ لم تحترمي مشاعري." قالها وهو يبتعد عني خطوة بخطوة، "لقد كذبتِ عليّ طوال هذه " السنوات، وأنتِ الآن تطلبين مني أن أتقبل هذا؟"

كنت أراه يبتعد، لكنني لم أستطع أن أتحرك. كان الغضب على وجهه كالسيف، وكأنّه كان يحاول أن يتنفس بعيدًا عني. شعرتُ بجدار بيننا يكبر، جدار من الكلمات التي لم أستطع أن أقولها في الوقت المناسب.

أنا لا أستطيع." قال أخيرًا، بصوت مرتجف من الغضب، ثم أضاف: "لقد تأخرتِ كثيرًا، وأنا لا " أستطيع أن أعيش مع هذا الخداع."

ومع تلك الكلمات، تراجعت خطواته أكثر، ثم استدار وابتعد عني. كانت خطواته سريعة وثقيلة، وكان قلبي يتهدم معه في كل خطوة يخطوها بعيدًا عني.

بقيتُ هناك، في نفس المكان الذي شهد على كل شيء، عينيّ مليئة بالدموع. كنتُ أعلم أنه لا يوجد شيء يمكن أن يعود كما كان، وأنه مهما حاولت، لا يمكنني أن أستعيد ما فقدته.

الفصل التاسع:
"بين العتاب والضياع"

مرّ يومان، لكنهما مرّت وكأنهما سنوات. كنتُ أعيش بين قلقٍ متواصل وخوفٍ لا ينتهي. كيف سيكون رد فعله؟ هل سيغضب مني إلى الأبد؟ هل سيتجاهلني كما فعلتُ أنا به لسنوات؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور في رأسي، ومشاعر الشك والندم تتراكم بداخل قلبي.

كل دقيقة كانت ثقيلة، كل لحظة كانت تحمل فيها بريق أمل ضعيف. وعينيّ دائمًا على الهاتف، أراقب كل رنة، كل اهتزاز، وكل إشعار، بينما قلبي يخفق بسرعة.

ثم، في اليوم الثاني، أخيرًا، رنّ الهاتف. كان اسمه على الشاشة. لم أستطع التوقف عن التنفس العميق، وكأنني أستعد لمعركة. قلبتُ الهاتف في يدي للحظة، ثم أجبت.

"ألو؟" كانت الكلمات تخرج بصعوبة.

صوته كان هادئًا، لكنه كان يحمل بين طياته الكثير من الغضب والارتباك. "أين كنتِ؟ لماذا لم تردي؟ ماذا كان كل هذا؟"

صوته كان يخبرني أنه كان في حالة فوضى، وكأن كل شيء قد انهار أمامه.

كنتُ أنتظرك..." همستُ، وكأن الكلمات أصبحت ضعيفة جدًا أمام سيل العواطف التي تجتاحني."

"

ماذا تريدين مني أن أفعل الآن؟" كان صوته مترددًا، وكأن الغضب يختلط بالحيرة. "أنتِ أخبرتيني بكذبة لسنوات. كيف يمكنني التعامل مع هذا؟"

كانت الأسئلة تتساقط منه واحدة تلو الأخرى، وكأنّه يلومني لكنّه لا يعرف كيف يتعامل مع هذه الحقيقة. لم يكن يعلم هل يجب أن يكون غاضبًا أم حزينا، هل يجب أن يرحل أم يبقى.

أنا لا أستطيع أن أشرح لك كيف كنتُ خائفة." قلتُ، وكنت أشعر بالعجز. "لم أكن أعرف ماذا أفعل. كنت أخاف أن أخسر كل شيء."

كان هناك صمت ثقيل على الطرف الآخر، ثم قال بصوت متعب: "ولكن ماذا تريدين مني أن أفعل؟ ماذا الآن؟"

تلك الكلمات كانت تحمل الحيرة، وكأنّه لا يعرف كيف يُكمل هذا الطريق المظلم الذي بدأناه.

أريدك أن تبقى معي." قلتها أخيرًا، وكأنها سكينة تخرج من فمي رغم ضجيج الحزن الذي يعصف بي. "أريدك أن تظل معي، لكنني لا أعرف كيف... لا أعرف ماذا علينا فعله."

ثم، في لحظة مفاجئة، سكت قليلاً قبل أن يقول بصوتٍ شبه مكسور: "وأنا أيضًا لا أعرف... لا أعرف ماذا أفعل. لكنني أريدك أن تبقي في حياتي. أريدك، رغم كل شيء."

أخذت نفسًا عميقًا، وكأنني أبتلع كل ما في صدري. لم يكن الأمر عن العودة، بل عن محاولة فهم ما تبقى بيننا. "هل يمكننا حقًا المضي قدمًا؟" همستُ، وأنا أخشى أن لا نكون قادرين على تجاوز ما حدث.

لن أعدك بشيء... لكنني سأحاول. أريدك، لكنني لا أعرف كيف... سنمضي معًا خطوة " خطوة." قالها أخيرًا، وكأنّه على حافة قرارٍ صعب.

كان هناك شيء ما في صوته، شيء يجعلني أشعر بالأمل رغم أنني كنت أعلم أنه ما زال غارقًا في الأسئلة.

نحن في مفترق الطرق، ولا أحد يعرف إلى أين سنصل، لكننا نحاول أن نكمل الطريق معًا، رغم الضياع الذي يحيط بنا.

الفصل العاشر:
"بين الأمل والظلام"

مرّ شهران، كانا بمثابة اختبار طويل وصعب لعلاقتنا. حاولنا، لكننا كنا نُحارب في معركة ضد الرياح العاتية التي تعصف بنا من كل جانب. كان بيننا أمل ضعيف، لكنه كان هجينًا من الألم والخوف والشك. ومع كل يوم، كان ذلك الأمل يتلاشى تدريجيًا، بينما كنا نواجه حقيقة أننا لم نعد كما كنا.

كنتُ أشعر وكأنني أعيش في دوامة لا تنتهي. في بعض الأيام، كان يبدو وكأننا قد نجد طريقنا معًا، لكن في الأيام الأخرى، كان هناك فجوة تزداد اتساعًا بيننا. كان يختفي لفترات طويلة، ثم يعود وكأن شيئًا لم يحدث، كما لو أن الوقت الذي مرّ لم يكن سوى حلم عابر. وكلما عاد، كان يبدو أكثر غربة، أكثر تعبيرًا عن ضياعه.

"؟كنتُ أسأله في صمت: "أين أنت؟ لماذا تختفي؟ لماذا لا نعد كما كنا

لكن إجاباته كانت غامضة. كان يردد كلمات عن محاولات الفهم، عن المسافة التي تزداد بيننا، لكنه لا يستطيع أن يقدم لي الأمان الذي كنتُ أبحث عنه. كانت هناك لحظات من الدفء بيننا، كأننا نستعيد بعض ما فقدناه، لكن سرعان ما يختفي ذلك الدفء وتعود المسافة بيننا، وكأنها حاجز لا يمكن اجتيازه.

كنتُ تائهة. لا أستطيع أن أقرر ما يجب فعله. لا أستطيع أن أعود إلى الماضي، ولا أستطيع المضي قدمًا بدون أن أكون متأكدة مما أريد. في كل مرة كان يختفي، كنتُ أشعر بالفراغ يملأ

صدري. وفي كل مرة كان يعود، كنتُ أخاف من أنني لم أعد الشخص نفسه الذي كان يحبني، ولا أعلم إذا كنتُ سأظل قادرة على تحمل هذه المتناقضات.

كان هناك لحظات من القلق الذي يملأ قلبي، خائفة من أن ينتهي كل شيء، خائفة من أن أكون قد أضعت الفرصة. وفي كل مرة كانت عيني تتوجه نحو الهاتف، كنتُ أبحث عن رنة أو رسالة، لكن حتى في لحظات قربه، كنتُ أشعر بأنني بعيدة عنه، وأني أفتقد شيئًا أعمق بكثير من مجرد الكلمات.

في هذا الوقت، كنتُ أعيش في حالة من التردد، تائهة في بحر من الأسئلة. هل كان ذلك الحب الذي بيننا حقيقيًا؟ هل يمكننا أن نعيد بناء ما كسرناه؟ أم أننا، كما كنت أخشى، قد فقدنا كل شي؟

كنتُ أخاف من الحقيقة، من أنني قد أضيع في هذا الطريق المظلم الذي لا أعرف إن كان يقودني إلى النور أو إلى المزيد من الظلال.

الفصل الحادي عشر:
"كلمات لا تُمحى"

كان يومًا عاديًا، كأي يوم آخر، حين قررنا التحدث عبر الهاتف. لم أكن أتوقع أن تلك المكالمة ستكون نقطة التحول التي ستمزق ما تبقى بيننا.

بدأ الحديث بشكل عادي، ولكن سرعان ما تحول إلى سجال، وكأن كل شيء كان في فوهة بركان. لم يكن هناك شيء جديد، فقط صمت مقنع كان يخيم على علاقتنا منذ فترة طويلة. وكنا نكمل، ولكن بطريقة كاذبة، لا تشبهنا.

في لحظة غضب، كما لو أنه انفجر بعد فترة طويلة من الكتمان، قال لي بألم شديد:

"!أنتِ دمرتِ كل شيء! دمرتِ أحلامي! دمرتِ ثقتي! دمرتِ نفسي أمام أهلي"

كلماته كانت كالسكاكين في قلبي، وكل كلمة كانت تسحب مني المزيد من الأمل. كيف يمكن أن أكون سببًا في تدمير كل شيء؟ كيف يمكن أن أكون سببًا في كسر ما كان بيننا؟

تابع قائلاً بصوت غاضب، ولكن بوضوح:

كيف سأخبر أهلي أنني أحببتِ فتاة أكبر مني بخمس سنوات؟ كيف سأصارحهم بالحقيقة التي " أخفيتها عني؟ كيف أشرح لهم أنني لم أكن أستطيع حتى أن أخبرهم بما كنتِ تخفينه؟ كيف سيتقبلونني وأنا الذي لم أكن أعرف شيئًا عنك"؟

شعرتُ وكأن صوته قد اخترق قلبي، وأخذني إلى مكان مظلم حيث كانت كلماته تجتاحني بلا رحمة. كنتُ أحاول الرد، لكن الكلمات كانت عائقة في حلقي. لا أستطيع أن أشرح له ما لا يمكنني شرحه لنفسي، ولا أستطيع أن أبرر شيئًا قد فات.

لم أكن أعرف، لم أكن أدري!" همستُ، لكنني شعرت أن كل شيء كان قد فات. وأن تلك " الكلمات لن تكفي.

في تلك اللحظة، كانت هناك فجوة لا أستطيع عبورها، ولا هو. كانت هذه هي الحقيقة التي كنتُ أخاف منها طيلة الوقت، أن يكون هناك جزءٌ مني لم أستطع مشاركته، جزءٌ دفع ثمنه أغلى مما توقعت.

ثم جاء الرد الذي كنت أخافه:

أريد أن أكون صريحًا معكِ، لا أستطيع الاستمرار هكذا. كل شيء انهار، وأنا لا أعرف كيف " أتعامل مع هذا الوضع. هذا ليس مجرد شيء بيننا، هذا شيء أكبر بكثير. كيف يمكنني أن أواجه "؟أهلي؟ كيف أكون أنا حين أظهر لهم ما فعلته؟ كيف أعيش مع هذا العار

صمت طويل عمّ بيننا، وكأنما كانت هذه هي النهاية. لم أستطع الرد، ولم أكن أملك القدرة على إصلاح ما كان قد انكسر. كنتُ أشعر أنني أحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى، لكنني أيضًا كنت أرى أن هذا الجرح أصبح أعمق من أن يُلتئم.

أغلق الهاتف دون أن يقول شيئًا أكثر. وكأن تلك الكلمات التي قالها كانت كافية لتدمير ما تبقى من الأمل.

الفصل الثاني عشر:
"بداية جديدة في قلب الحزن"

قررتُ أن أتركه يتخذ قراره. كانت المدة التي مضت كفيلة بأن تقتل كل شيء بداخلنا، وكأن الكلمات التي قالها كانت تصدّع الجدران بيننا بشكل لا يمكن إصلاحه. قررتُ أن أتركه، أن أبتعد قليلاً عن الانتظار المستمر وأعطيه المساحة ليقرر. ربما، في تلك المسافة، سيكتشف ما إذا كان ما بيننا يستحق أن يُحيى أم لا.

مرت الأيام ببطء. شهرين طويلين، كانت خلالها الحياة تتسرب من بين يديّ، ولكنني لم أكن أملك خيارًا آخر. كنتُ أعيش في صمت ثقيل، في فوضى من الحزن والقلق، بينما داخلي يهتزّ كل يوم على انتظارٍ لا جدوى منه. كل صباح كنتُ أستيقظ وأتساءل إن كان سيعود، إن كان سيتصل، إن كان سيغيّر رأيه.

ولكن بعد شهرين من الصمت، قررتُ أن أضع حدًا لهذا الألم. كنت بحاجة إلى إعادة بناء نفسي، إلى أن أبدأ حياتي من الصفر، رغم الوجع الذي كنتُ أحمله داخلي، رغم الحزن الذي كان يرافقني في كل لحظة. قررتُ أن أفتح أبوابًا جديدة في حياتي، أن أتعلم، أن أعيش بدون انتظار. كنتُ أخبر نفسي أنني أستحق حياة أفضل، وأنني يجب أن أتحرر من هذه السلاسل التي كانت تربطني به.

وبدأت أشياء جديدة تطرأ في حياتي: درست شيئًا كنت أجهله، بدأت في ممارسة هواياتي التي أهملتها طويلًا، وابتسمت لأيام كنت أظن أنني لن أعيشها. كنت أحاول أن أعيش بحياة تملؤها الألوان، رغم أن قلبي لا يزال يرتدي ثياب الحزن.

وفي أحد الأيام، بينما كنت مشغولة بما أفعله، رن هاتفي. كان رقمه. قلبي ارتجف لحظة، كأن الزمن توقف، وكأن ذلك الاتصال هو الذي كنت أنتظره طيلة الشهرين.

".رفعتُ الهاتف وقلت بصوتٍ شبه مرتجف: "مرحبًا

كان صوته خافتًا، حزينًا، ولكنه مليء بشيء ما لم أستطع تحديده:

".أنا أحبكِ، وأريدكِ أن تبقي معي، فقط معي"

في تلك اللحظة، لم أستطع أن أميز مشاعري. كنتُ أشعر بالفرح، ولكن الفرح كان مشوبًا بحذر، بحذر من أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه، بحذر من أن أضع قلبي في هذا الطريق مجددًا، في نفس الزمان والمكان الذي تاه فيه.

لكن... لماذا الآن؟" همستُ، ولم أكن متأكدة إن كنتُ أسأل نفسي أم أجيبه."

".لأنني أدركت أنني لا أستطيع العيش دونكِ، ولا أستطيع أن أظل في هذه الحياة بلاك"

كان صوته مليئًا بالندم، وكأنّه حاول أن يصلح ما تمزق، وأن يجد طريقًا وسط هذا الدمار الذي تركناه خلفنا. لكن السؤال كان يلحّ في رأسي: هل كان هذا الحب كافيًا؟ وهل كانت هذه العودة كافية لإعادة بناء ما تهدم؟

أغمضتُ عينيّ للحظة، ثم نظرت إلى المستقبل المجهول، إلى الطريق الذي كنا نمشيه سويًا ثم تفرّقنا عنه. وبالرغم من كل شيء، كانت تلك الكلمات هي كل ما كنت أحتاج إليه لأخذ خطوة جديدة، خطوة تملؤني بالأمل، حتى وإن كنت أخشى أن أضع قلبي في هذا المكان مرة أخرى.

أريدك أن تعود... أريدنا أن نعود، لكن يجب أن نبني ذلك من جديد. يجب أن نكون صادقين مع بعضنا البعض، ولا مجال للشكوك بعد الآن."

أجبتُ أخيرًا، وأحسست أنني أجد القوة في نفسي لكي أسمح بالعودة، ليس كأننا نعود إلى ما كان، بل لكي نبني شيئًا جديدًا، شيئًا أقوى، أكثر صدقًا، وأكثر استعدادًا للعيش بحب ناضج.

"لنبدأ من جديد، ولنحاول أن نكون أكثر صدقًا مع أنفسنا."

كنا هناك، معًا، لكن هذه المرة كان كل شيء مختلفًا.

الفصل الثالث عشر:
"شظايا العودة"

بدأنا نعود لبعضنا البعض، أو هكذا ظننت. كنتُ أتمسك ببقايا الأمل، أحاول أن أُقنع نفسي أن المسافات التي نشأت بيننا يمكن أن تُختصر، أن المشاعر التي خبت يمكن أن تشتعل من جديد، لكن شيئًا ما كان مفقودًا، شيئًا جوهريًا، وكأن الروح التي جمعتنا ذات يوم لم تعد تسكننا.

كان هنا... لكنه لم يكن.

لم يعد كما كان، ولم أعد أعرفه كما كنتُ أعرفه. لم تعد كلماته تحمل ذلك الدفء الذي كنتُ أهرب إليه، لم تعد ضحكته تملك نفس الصدى في قلبي. كنتُ أبحث عنه بين السطور، بين المسافات، بين الصمت الذي بات يخيم على حديثنا. لكنني لم أجد سوى الفراغ.

كان يبحث عن كل شيء... إلا عني.

أصبح يغيب طويلًا، وأصبحتُ أنا الغائبة عن اهتمامه. أرسل رسائلي وأبقى أنتظر، أراقب هاتفي كمن يترقب حياة كاملة أن تأتيه عبر إشعار صغير. تمر الساعات ولا شيء، ولا أحد. وعندما كان يعود، كان يأتي بجملٍ قصيرة، مكررة، باهتة.

الهاتف لم يكن معي... كنتُ مشغولًا. –

أصبحتُ أحفظها عن ظهر قلب. أصبحتُ أعرف متى سيقولها، وبأي نبرة، وبأي فتور. كان غيابه يطول، وقلبي يزداد ضياعًا. كنتُ أبحث عن أي أثرٍ لحبّنا، عن أي دليلٍ يؤكد لي أنه ما زال هنا، أنه ما زال يشعر، لكنه كان يبتعد أكثر، وأشعر أنا بأنني أتحول إلى شخص غير مرئي في حياته.

كلما حاولتُ أن أقترب، وجدتُ نفسي أواجه جدارًا باردًا من الصمت. لم يكن يهرب مني، لكنه لم يكن يعود إليّ أيضًا. كان يعلقني بين البقاء والغياب، بين الانتظار والخذلان، بين أملٍ هشّ وخيبةٍ تتكرر.

كنتُ أبحث عنه في كلماته، في صوته، في ملامحه، لكنني لم أجد سوى شخصٍ غريب، رجلٌ يحمل ملامحه لكنه لا يشبهه. لم يعد يشبه من أحببته، ولم يعد قلبي قادرًا على احتمال هذا التلاشي البطيء.

في كل مرة كنتُ أحاول أن أمسك بيده، كنتُ أشعر أنني أمسك بالهواء. كنتُ أخاف أن أسأله، أن أواجهه، لأنني كنتُ أعرف الإجابة مسبقًا. لم أكن أريد أن أسمعها بصوته، لم أكن أريد أن أسمع منه ما كنتُ أراه كل يوم بأم عيني.

وبينما كنتُ أعيش هذا الحزن، شعرتُ بشيء داخلي يتكسر. لم يعد قلبي قادرًا على المقاومة، لم يعد قادرًا على انتظار حبٍّ لم يعد موجودًا.

كنتُ أفقده شيئًا فشيئًا... وكنتُ أفقد نفسي معه.

الفصل الأخير :
"النهاية الصامتة"

لطالما كنت أؤمن أن الحب قادر على تجاوز كل شيء. كنت أرى قصصًا لفتيات أحببن رجالًا أصغر منهن، ونجحن في بناء حياة سعيدة. كنت أصدق أنني قد أكون واحدة منهن، أنني قادرة على تخطي الفارق، على احتواء الاختلافات، على أن أجعل كل شيء ينجح.

لكن الحقيقة كانت مختلفة.

تحملتُ كثيرًا، أقنعتُ نفسي أنني أستطيع الاستمرار، أنني قادرة على الصبر أكثر، أن الأيام ستعيد لنا ما فقدناه. كنت أمني نفسي أن الحب، وحده، يكفي. لكنه لم يكن كذلك.

كنت أراه يبتعد عني يومًا بعد يوم، يهرب من أحاديثي، يغيب لساعات طويلة، وترك رسائلي "معلقة في الفراغ. كلما واجهته، كانت حجته واحدة: "هاتفي لم يكن معي... كنت مشغولًا.

لكنني كنت أعلم. كنت أشعر بذلك في قلب خذلته الأكاذيب الصغيرة، في يدي التي لم تعد تجد دفئها معه، في المسافات التي كبرت بيننا حتى لم تعد هناك وسيلة لعبورها. كنت أعرف أنني لم أعد جزءًا من عالمه!

لهذا، في ذلك اليوم، قررتُ أن أضع حدًا لكل شيء.

طلبت منه أن نلتقي في المقهى، المكان الذي شهد ضحكاتنا يومًا، والذي صار شاهدًا على كل ما فقدناه. جلستُ أنتظره، أشعر أنني أخوض معركة أخيرة مع نفسي. كنت أعلم أن هذا اللقاء ليس ككل اللقاءات، أنه ليس لحظة عابرة سنعود بعدها كما كنا. هذه المرة، كنت أعرف أنها النهاية.

وحين جاء، عرفت أنني لم أكن مخطئة.

لم يكن في عينيه شيء مما كنت أبحث عنه، لم تكن هناك الدفء الذي كنت أشتاق إليه، ولا اللهفة التي كنت أرجوها. كان رجلًا مختلفًا، كأنني أخطأت العنوان وجئت إلى شخص لا أعرفه.

– "لماذا طلبتِ مني أن نلتقي؟"

سألني، وكأنه لم يكن يشعر بكل ما كان ينهار بيننا.

بحثتُ عن الكلمات، عن أي شيء قد يجعل هذه اللحظة أقل ألمًا، لكن لم يكن هناك شيء يمكنه أن يخفف من وقع الحقيقة. كنت قد استنفدت كل ما في داخلي، ولم يعد لديّ ما أقدمه.

– "لقد قررتُ أنني يجب أن أرحل. يجب أن أتركك تذهب لتكون سعيدًا."

همستُ بها، وكأنني أخاطب نفسي أكثر مما أخاطبه.

مرّت لحظات ثقيلة من الصمت. كنت أنتظر منه كلمة، نظرة، أي شيء يجعلني أتراجع، لكنه لم يفعل. لم يحاول إيقافي، لم يحاول الإمساك بيدي، لم يسألني حتى لماذا.

في النهاية، لم يكن هناك سوى جملة واحدة، قالها بصوت بارد خالٍ من أي شعور:

".إذا كان هذا ما تريدين" –

ثم وقف، ومضى.

وهكذا انتهى كل شيء.

ظللتُ جالسة في مكاني، أحدّق في الطاولة أمامي، في الكرسي الفارغ الذي كان يجلس عليه قبل لحظات. لم أبكِ، لم أنهَر، فقط شعرت بثقل غريب، وكأن روحي غادرتني معه.

ظننتُ يومًا أنني سأكون قصة حبٍّ تُروى، أنني سأعيش تلك الحكايات التي قرأتها وشاهدتها في قصص الآخرين. لكنني كنتُ مجرد درس، مجرد امرأة عرفت الحب متأخرة، وحاولت أن تحافظ عليه طويلاً، لكن الزمن لم يكن في صفها.

وها أنا هنا، وحيدة، أدرك أنني كنت أهرب طوال الوقت من الحقيقة، وأنه ربما... كان يجب أن أرحل منذ وقت طويل.

الخاتمة :
"أمنية النهاية"

مرت الأيام، وجاءت اللحظة التي أدركتُ فيها أن الطريق الذي سلكته كان مليئاً بالأشواك، وأنني وصلت إلى النهاية التي لم أكن أتمنى أن أصل إليها.
أنا الآن هنا، أبحث عن نفسي في ظل هذا الألم الذي لا يزال يُلاحقني، أبحث عن الهدوء، عن السلام الذي فقدته في كل خطوة أخذتها نحو هذا الطريق.
أبحث عن شيء ما في داخلي يجعلني أُصدق أن الحياة لا تزال تحمل لي شيئاً أجمل، لكنني لا أستطيع أن أنسى كل ما ضاع مني وكل ما فقدته.

لقد فقدتُ جزءً من قلبي في هذا الرحيل، جزءً من روحي التي تركت وراءها آمالاً كانت تتراقص في فضاء الحلم الذي تحطمت على صخور الواقع، ولكن رغم هذا الفقد أجد أنني لا أستطيع العودة إلى ماكنتُ عليه ولا استطيع أن أكرر أخطاء الماضي.

أمنيتي الوحيدة الآن هي أن لا أعود إلى هذا الطريق مرة أخرى، أن لا أكرر هذه الدائرة التي أخذتني بعيداً عن نفسي، عن أحلامي، عن السلام الذي كنتُ أبحث عنه في أعماقي، أريدُ أن أنسى هذا العذاب، هذا الوجع الذي مرّ بي، وأود أن ينتهي كل شيء حتى وأن كانت النهاية مريرة، فهي على الأقل تمنحني الفرصة للبدء من جديد.

أتمنى أن أجد السلام في آخر هذا الطريق المرهق بعيداً عن الصراع مع نفسي، أمنيني أن أتمكن من العيش بسلام داخلي ، أن استعيد نفسي وابدا من جديد، ولكن في هذا الوقت كل ما استطيع فعله هو أن أترك الماضي خلفي وأن اسعى لأكون بخير بدون الخوف من العودة إلى تلك الدائرة التي كانت تجذبني في كل مرة.

أنا هنا الآن، في هذه اللحظة أتمنى أن ينتهي كل هذا العذاب.

بيننا خطٌ لا يلتقي

"بيننا خط لا يلتقي"

قصة عن حب خفي، لم تجد فيه الفتاة الشجاعة لتعبّر عن مشاعرها خوفًا من فقدانه. خمس سنوات من الصمت تليها لحظة اعتراف متأخرة، لكن الحب والتوقيت لم يلتقيا أبدًا. رحلة بين الأمل والألم، حيث تختلط التضحيات بالندم، والقرار الأصعب هو الرحيل .

سارة حسن علي درويش